

تفسير البحر المحيط

@ 180 @ الشرائع ، فإنها مختلفة فلا يمكن أن يؤمر بالاقتداء بالمختلفة وهي هدى ما لم
تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها كلها هدى أبداً . وقال تعالى : {
لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } . وقال ابن عطية : ويحتمل أن تكون
الإشارة بأولئك إلى { * وقوما } وذلك يترتب على بعض التأويلات في المراد بالقوم على
بعضها انتهى ، ويعني أنه إذا فسر القوم بالأنبياء المذكورين أو بالملائكة فيمكن أن تكون
الإشارة إلى قوم وإن فسروا بغير ذلك فلا يصح ، وقيل : الاقتداء في الصبر كما صبر من قبله
، وقيل : يحمل على كل هداهم إلا ما خصه الدليل ، وقيل : في الأخلاق الحميدة من الصبر على
الأذى والعفو ، وقال : في ريّ الظمآن أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية بمكارم الأخلاق فأمر
بتوبة آدم وشكر نوح ووفاء إبراهيم وصدق وعد إسماعيل وحلم إسحاق وحسن ظنّ يعقوب ؟
واحتمال يوسف وصبر أيوب وإثابة داود وتواضع سليمان وإخلاص موسى وعبادة زكريا وعصمة يحيى
وزهد عيسى ، وهذه المكارم التي في جميع الأنبياء اجتمعت في الرسول صلى الله عليه وسلم)
وعليهم أجمعين ولذلك وصفه تعالى بقوله : { مَمْدُونٌ وَإِنَّكَ لَعََلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }
 . وقال الزمخشري : { فَبِهْدَاهُمُ اقْتَدِهْ } فاختص هداهم بالاقتداء ولا يقتدى إلا
بهم ، وهذا بمعنى تقديم المفعول وهذا على طريقته في أن تقديم المفعول يوجب الاختصاص وقد
رددنا عليه ذلك في الكلام على { إِيَّكَ نَعْبُدُ } . وقرأ الحرميان وأهل حرميهما وأبو
عمرو اقتده بالهاء ساكنة وصلًا ووقفًا وهي هاء السكت أجزها وصلًا مجراها وقفًا ، وقرأ
الأخوان بحذفها وصلًا وإثباتها وقفًا وهذا هو القياس ، وقرأ هشام اقتده باختلاس الكسرة في
الهاء وصلًا وسكونها وقفًا ، وقرأ ابن ذكوان بكسرهما ووصلها بياء وصلًا وسكونها وقفًا
ويؤول على أنها ضمير المصدر لا هاء السكت ، وتغليظ ابن مجاهد قراءة الكسر غلط منه
وتأويلها على أنها هاء السكت ضعيف . .
{ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } ذكرى للعالمين {
أَيُّ الدِّعَاءِ إِلَى الْقُرْآنِ وَهُوَ الْهُدَى وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ . { أَجْرًا } أَيُّ أَجْرٍ أَتَكَثَّرَ بِهَا
وَأَخْصَ بِهَا إِنْ الْقُرْآنَ إِلَّا ذَكَرَى مَوْعِظَةً لِّجَمِيعِ الْعَالَمِينَ . .
{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُهُ عِلْمٌ
بِشَرِّهِ مَنْ شَاءَ { نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ، أَوْ فِي مَالِكِ بْنِ الصِّفِّ
الْيَهُودِي إِذْ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ : (أَنْشَدُكَ بِاللُّغَةِ الَّتِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى أَتَجِدُ فِيهَا أَنَّ
يَبْغِضُ الْحَبْرَ السَّمِينُ) ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : (فَأَنْتَ الْحَبْرُ السَّمِينُ) فغضب ثم قال : مَا أَنْزَلَ

١١ على بشر من شيء قاله ابن عباس وابن جبير وعكرمة ، أو في فنحاص بن عازورا منهم قاله السدي ، أو في اليهود والنصارى قاله قتادة ، أو في مشركي العرب قاله مجاهد ، وغيره ، وبعضهم خصه عنه بمشركي قريش وهي رواية ابن أبي نجيح عنه ، وفي رواية ابن كثير عن مجاهد أن من أولها إلى { مِنْ شِدِّءٍ } في مشركي قريش وقوله : { أُنْزِلَ الْكِتَابَ } في اليهود ولما ذكر تعالى عن إبراهيم دليل التوحيد وتسفيهه ، رأى أهل الشرك وذكر تعالى ما من به على إبراهيم من جعل النبوة في بنيه وأن نوحاً عليه السلام جدّه الأعلى كأن ١١ تعالى قد هداه وكان مرسلًا إلى قومه وأمر تعالى الرسول بالاعتداء بهدى الأنبياء أخذ في تقرير النبوة والرد على منكري الوحي فقال تعالى : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } وأصل القدر معرفة الكمية يقال : قدر الشيء إذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقدار يقدره بالضم قدراً وقدراً ومنه فإن غم عليكم فاقدروا له أي فاطلبوا أن تعرفوه ، ثم توسع فيه حتى قيل : لكل من عرف شيئاً هو يقدر قدره